

## التحرير والتنوير

و ( تصديق الذي بين يديه ) كونه مصدقا للكتب السالفة أي مبينا للمصدق منها ومميزا له عما زيد فيها وأسيء من تأويلها كما قال تعالى ( مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه ) كما تقدم في سورة العقود . وأيضا هو مصدق " بفتح الدال " بشهادة الكتب السالفة فيما أخذت من العهد على أصحابها أن يؤمنوا بالرسول الذي يجيء مصدقا وخاتما . فالوصف بالمصدر صالح للأمرين لأن المصدر يقتضي فاعلا ومفعولا .

والتفصيل : التبيين بأنواعه . والظاهر أن تعريف ( الكتاب ) تعريف الجنس فيستغرق الكتب كلها . ومعنى كون القرآن تفصيلا لها أنه مبين لما جاء مجملا في الكتب السالفة وناسخ لما لا مصلحة للناس في دوام حكمه ودافع للمتشابهات التي ضل بها أهل الكتاب فكل ذلك داخل في معنى التفصيل وهو معنى قوله تعالى ( ومهيما عليه ) في سورة العقود . وهذا غير معنى قوله ( وتفصيل كل شيء ) في الآية الأخرى .

وجملة ( لا ريب فيه ) مستأنفة ردت مزاعم الذين زعموا أنه مفترى باقتلاع دعوى افتراءه وأنها مما لا يروج على أهل الفطن والعقول العادلة فالريب المنفي عنه هو أن يكون من أحواله في ذاته ومقارناته ما يثير الريب ولذلك كان ريب المرتابين فيه ريبا مزعوما مدعى وهم لو راجعوا أنفسهم لوجدوها غير مرتابة . وقد تقدم القول في نظير هذا في طالعة سورة البقرة .

وموقع قوله ( من رب العالمين ) محتمل وجوها أظهرها أنه ظرف مستقر في موضع الخبر عن مبتدأ محذوف هو ضمير القرآن والجملة استئناف ثان و ( من ) ابتدائية تؤذن بالمجيء أي هو وارد من رب العالمين أي من وحيه وكلامه وهذا مقابل قوله ( من دون ا ) .

كنتم إن ا دون من استطعتم من وادعوا مثله بسورة فأتوا قل افتراه يقولون أم ( A E صادقين ) ( أم ) للإضراب الانتقالي من النفي إلى الاستفهام الإنكاري التعجيبى وهو ارتقاء بإبطال دعواهم أن يكون القرآن مفترى من دون ا .

ولما اختصت ( أم ) بعطف الاستفهام كان الاستفهام مقدرا معها حيثما وقعت فالاستفهام الذي تشعر به ( أم ) استفهام تعجيبى إنكاري والمعنى : بل يقولون افتراه بعدما تبين لهم من الدلائل على صدقه وبراءته من الافتراء .

ومن بديع الأسلوب وبلغ الكلام أن قدم وصف القرآن بما يقتضي بعده عن الافتراء وبما فيه من أجل صفات الكتب وبتشريف نسبه إلى ا تعالى ثم أعقب ذلك بالاستفهام عن دعوى المشركين افتراء ليتلقى السامع هذه الدعوى بمزيد الاشمئزاز والتعجب من حماقة أصحابها فلذلك جعلت

دعواهم افتراءه في حيز الاستفهام الإنكاري التعجيبى .

وقد أمر اﻻﻧﺒﻴﺎء ﺑﺪﻋﻮى ﺍﻻﻓﺘﺮاء ﺑﺘﻌﺠﻴﺰﻫﻢ ﻭﺃﻥ ﻳﻘﺘﻌﻰ ﺍﻻﺳﺘﺪﻻﻝ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﻓﺄﻣﺮﻫﻢ ﺑﺄﻥ ﻳﺄﺗﻮﺍ ﺑﺴﻮﺭﺓ ﻣﺜﻠﻪ . ﻭﺍﻻﻣﺮ ﺃﻣﺮ ﺗﻌﺠﻴﺰ ﻭﻗﺪ ﻭﻗﻊ ﺍﻟﺘﺤﺪﻱ ﺑﺄﺗﻴﺎﻧﻬﻢ ﺑﺴﻮﺭﺓ ﺗﻤﺎﺛﻞ ﺳﻮﺭ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﺃﻱ ﺗﺸﺎﺑﻬﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﺒﻼﻏﺔ ﻭﺣﺴﻦ ﺍﻟﻨﻈﻢ . ﻭﻗﺪ ﺗﻘﺪﻡ ﺗﻘﺮﻳﺮ ﻫﺬﺓ ﺍﻟﻤﻤﺎﺛﻠﺔ ﻋﻨﺪ ﺗﻔﺴﻴﺮ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ( ﻭﺇﻥ ﻛﻨﺘﻢ ﻓﻲ ﺭﻳﺐ ﻣﻤﺎ ﻧﺰﻟﻨﺎ ﻋﻠﻰ ﻋﺒﺪﻧﺎ ﻓﺄﺗﻮﺍ ﺑﺴﻮﺭﺓ ﻣﻦ ﻣﺜﻠﻪ ) ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﺒﻘﺮﺓ . ﻭﻗﻮﻟﻪ ( ﻭﺍﺩﻋﻮﺍ ﻣﻦ ﺍﺳﺘﻄﻌﺘﻢ ﻣﻦ ﺩﻭﻥ ﺍﻻﻧﺒﻴﺎء ﺇﻥ ﻛﻨﺘﻢ ﺻﺎﺩﻗﻴﻦ ) ﻫﻮ ﻛﻘﻮﻟﻪ ﻓﻲ ﺁﻳﺔ ﺍﻟﺒﻘﺮﺓ ( ﻭﺍﺩﻋﻮﺍ ﺷﻬﺪﺍﺀﻛﻢ ﻣﻦ ﺩﻭﻥ ﺍﻻﻧﺒﻴﺎء ﺇﻥ ﻛﻨﺘﻢ ﺻﺎﺩﻗﻴﻦ ) ﻭﻣﻌﻨﻰ ( ﺻﺎﺩﻗﻴﻦ ) ﻫﻨﺎ ﺃﻱ ﻗﻮﻟﻜﻢ ﺃﻧﻪ ﺍﻓﺘﺮﻱ ﻻﻧﻪ ﺇﺫﺍ ﺃﻣﻜﻨﻪ ﺃﻥ ﻳﻔﺘﺮﻱﻪ ﺃﻣﻜﻨﻜﻢ ﺃﻧﺘﻢ ﻣﻌﺎﺭﺿﺘﻪ ﻓﺈﻧﻜﻢ ﺳﻮﺍﺀ ﻓﻲ ﻫﺬﺓ ﺍﻟﻠﻐﺔ ﺍﻟﻌﺮﺑﻴﺔ . ﻭﺣﺬﻑ ﻣﻔﻌﻮﻝ ( ﺍﺳﺘﻄﻌﺘﻢ ) ﻟﻄﻬﻮﺭﻩ ﻣﻦ ﻓﻌﻞ ( ﺍﺩﻋﻮﺍ ) ﺃﻱ ﻣﻦ ﺍﺳﺘﻄﻌﺘﻢ ﺩﻋﻮﺗﻪ ﻟﻨﺼﺮﺗﻜﻢ ﻭﺇﻋﺎﻧﺘﻜﻢ ﻋﻠﻰ ﺗﺄﻟﻴﻒ ﺳﻮﺭﺓ ﻣﺜﻞ ﺳﻮﺭ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ .

( ﺑﻞ ﻛﺬﺑﻮﺍ ﺑﻤﺎ ﻟﻢ ﻳﺤﻴﻄﻮﺍ ﺑﻌﻠﻤﻪ ﻭﻟﻤﺎ ﻳﺄﺗﻬﻢ ﺗﺄﻭﻳﻠﻪ ﻛﺬﻙ ﻛﺬﺏ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﻦ ﻗﺒﻠﻬﻢ ﻓﺎﻧﻈﺮ ﻛﻴﻒ ﻛﺎﻥ ﻋﺎﻗﺒﺔ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ ) ( ﺑﻞ ) ﺇﺿﺮﺍﺏ ﺍﻧﺘﻘﺎﻟﻲ ﻟﺒﻴﺎﻥ ﻛﻨﻪ ﺗﻜﺬﻳﺒﻬﻢ ﻭﺃﻥ ﺣﺎﻟﻬﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺒﺎﺩﺭﺓ ﺑﺎﻟﺘﻜﺬﻳﺐ ﻗﺒﻞ ﺍﻟﺘﺄﻣﻞ ﺃﻋﺠﺐ ﻣﻦ ﺃﺻﻞ ﺍﻟﺘﻜﺬﻳﺐ ﺇﺫ ﺃﻧﻬﻢ ﺑﺎﺩﺭﻭﺍ ﺇﻟﻰ ﺗﻜﺬﻳﺒﻪ ﺩﻭﻥ ﻧﻈﺮ ﻓﻲ ﺃﺩﻟﺔ ﺻﺤﺘﻪ ﺍﻟﺘﻲ ﺃﺷﺎﺭ ﺇﻟﻴﻬﺎ ﻗﻮﻟﻪ ( ﻭﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﺃﻥ ﻳﻔﺘﺮﻱ ﻣﻦ ﺩﻭﻥ ﺍﻻﻧﺒﻴﺎء ) . ﻭﺍﻟﺘﻜﺬﻳﺐ : ﺍﻟﻨﺴﺒﺔ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻜﺬﺏ ﺃﻭ ﺍﻟﻮﺻﻒ ﺑﺎﻟﻜﺬﺏ ﺳﻮﺍﺀ ﻛﺎﻥ ﻋﻦ ﺍﻋﺘﻘﺎﺩ ﺃﻡ ﻟﻢ ﻳﻜﻨﻪ . ﻭﺍﺧﺘﻴﺎﺭ ﺍﻟﺘﻌﺒﻴﺮ ﻋﻦ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﺑﻄﺮﻳﻖ ﺍﻟﻤﻮﺻﻮﻟﻴﺔ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ ( ﺑﻤﺎ ﻟﻢ ﻳﺤﻴﻄﻮﺍ ﺑﻌﻠﻤﻪ ) ﻟﻤﺎ ﺗﻮﺯﻥ ﺑﻪ ﺻﻠﺔ ﺍﻟﻤﻮﺻﻮﻝ ﻣﻦ ﻋﺠﻴﺐ ﺗﻠﻚ ﺍﻟﺤﺎﻟﺔ ﺍﻟﻤﻨﺎﻓﻴﺔ ﻟﺘﺴﻠﻴﻂ ﺍﻟﺘﻜﺬﻳﺐ ﻓﻬﻢ ﻗﺪ ﻛﺬﺑﻮﺍ ﻗﺒﻞ ﺍﻥ ﻳﺨﺘﺒﺮﻭﺍ ﻭﻫﺬﺍ ﻣﻦ ﺷﺄﻥ ﺍﻟﺤﻤﺎﻗﺔ ﻭﺍﻟﺠﻬﺎﻟﺔ